علم بيئة الانسان
الأفكار الأولى لتطور الإيكولوجيا البشرية

سنتحدث في هذه المحاضرة عن المصادر الأولى والمبكرة لتطور الايكولوجيا البشرية

ولعل من أهم ما يسترعي انتباه من يبحث في التراث الايكولوجي ،ذلك التباين الواضح بين ما طرح من اراء وتصورات حول طبيعة الدراسة الايكولوجية وموقعها من الدراسات التي عنيت بدراسة أشكال الحياة أو البيئة أو الانسان

الشاهد على ذلك التباين في نظرنا ما تدعيه علوم مثل البيولوجيا ،والجغرافيا، وعلم الاجتماع ،من انتماء الايكولوجيا لها، سواء كمجال متخصص من مجالات البحث ،أو كمدخل من مداخل الدراسة

ولا يقتصر الامر على حد تباين وجهات النظر حول طبيعة الدراسة الايكولوجية من جانب المشتغلين بهذه العلوم فحسب ،بل يزداد الخلاف حدة حتى داخل نطاق كل علم على حدة .

ولقد كان من أهم هذه التصورات ، ما ذهب اليه ويلز في نظرته للإيكولوجيا على انها (تركيب عام من مختلف الدراسات التي تعنى بنضال الانسان من اجل كسب العيش) .

وما ذهب اليه هانكينز في تحديد طبيعتها كدراسة للاقتصاد الحيوي ، او ما ذهب اليه بوروس وهاوس انها (دراسة في الجغرافيا البشرية) .

وحتى في علم الاجتماع ذاته ، نجد تصورات عديدة ومتعارضه احياناً للإيكولوجيا ، مثال ذلك تصور ماكيرجي الذي اطلق عليها اسم (علم الاجتماع الاقليمي) .

وتصور ماكيفر الذي كان يفيد (انها دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية في ارتباطها بالمجتمعات الحضرية) .

وتصور ميلا ايهان على انها دراسة تركز في المقام الاول (على حياة المجتمع المحلي) في مقابل المجتمع .

وتصور جيمس كوين (على انها تعنى بتحليل الجوانب شبه الاجتماعية لبناء الحياة الجمعية المشتركة).

وتصور كالدويل على انها دراسة للتوزيع المكاني للظواهر الانسانية

والحقيقة قد لا يتسع المقام ، كما قد يصعب علينا في الوقت ذاته ، ان نعرض على سبيل الحصر كل التصورات والتعريفات التي قدمت للإيكولوجيا البشرية

خاصة وان التنوع والتباين كان سمه بارزه تغلب على جوانب التراث العلمي للموضوع ومع ذلك فمن المؤكد انه كان لتباين وجهات النظر حول تحديد طبيعة هذا الفرع من المعرفة من ناحية ، كما كان لتلك المحاولات العديد التي بذلت لربطها باي من العلوم الاجتماعية كمدخل من مداخل الدراسة فيها او محاولات دمجها في أي من هذه العلوم كفرع من فروعها من ناحيه اخرى من المبررات الكثيرة ما يجعل محاولة تحديد موقعها في مجال العلوم الاجتماعية او الدراسات الانسانية ليست بالأمر الهين

ان الحياة الجمعية للكائنات الانسانية ، وبخاصة كما تبدو في الموطن الواحد والمشترك ، كانت ولا تزال موضع اهتمام عدد كبير من العلوم الاجتماعية كالديموغرافيا والجغرافيا البشرية والاقتصاد وعلم الاجتماع لذلك كان من الطبيعي ان ترتبط الايكولوجيا البشرية بطريق او بآخر بكل هذه العلوم الاجتماعية التي تعنى اما بدراسة البشر كتجمعات حية مثل الديموغرافيا ،

او بدراسة الكائنات البشرية في حياتها الاجتماعية كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، او بدراسة البيئة ومواردها كالجغرافيا والاقتصاد كما كان من الطبيعي ايضا ، ان تبذل محاولات عده لدمج الايكولوجيا البشرية كفرع او مجال متخصص للبحث والدراسة في كل منها .

كذلك شهدت البدايات الاولى لظهور الايكولوجيا البشرية كفرع مستقل من فروع المعرفة العلمية اسهامات عديدة من جانب العلوم الانسانية والاجتماعية شكلت الى حد كبير ما طورته الايكولوجيا فيما بعد من اطار تصوري وما بلورته من افكار ومبادئ .

هذا الى جانب ان استخدام المدخل الايكولوجي بصورته الاولى او المتطورة ، كان ولا يزال امراً واضحاً في عدد كبير من الدراسات والبحوث التي اجريت في مجال او اكثر من مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية .

ومن أجل ذلك نجد لزاماً علينا ،تجنباً لما ارتبط بالإيكولوجيا البشرية من غموض –نجم عن تباين وجهات النظر حول طبيعة الدراسة الايكولوجية ومجالها ومكانتها بين العلوم الاجتماعية الاخرى

–أن نوضح النقاط الاتية :

١-تتبع الاصول الاولى لتطوير المدخل الايكولوجي مع تبيان مدى اسهام العلوم الانسانية والاجتماعية في هذا الصدد

٢-تعيين مكانة الايكولوجيا البشرية بين العلوم الاجتماعية

٣-توضيح وتقييم حدود استخدام المدخل الايكولوجي في الدراسات الانسانية

المصادر الاولى والمبكرة لتطور الايكولوجيا البشرية :-

من الملاحظ أن جانباً كبيراً من تراث ما أصبح معروفاً فيما بعد باسم الايكولوجيا البشرية ،قد تطور بشكل أو بآخر من جانب المؤرخين والفلاسفة وعلماء الجغرافيا ،تحت اسم الاتجاه البيئوي حيث بدأ الاهتمام بدراسة العلاقة بين السكان وسبل عيشهم وبيئاتهم منذ ظهور كتابات مالتوس وحيث بزلت محاولات عديدة لفهم نسيج الحياة وما يتضمنه من عمليات حيوية كظهور الانواع وبقائها وتطورها

تلك المحاولات التي بدأت على يد داروين ، وتابعها من بعده أصحاب نظريات النشوء والارتقاء

والحق لقد كان هذا الاهتمام وتلك المحاولات من أهم العوامل التي دفعت لتطوير الدراسات الايكولوجية في المجال البشري ولقد سبق لنا الاشارة الى أن الايكولوجيا البشرية قد استعارت جانباً كبيراً من اطارها التصوري والنظري من البيولوجيا ومن ايكولوجيا النبات والحيوان في وقت كان فيه هذان الفرعان أحدث ما توصل اليه البحث العلمي في مجال البيولوجية

يؤكد ذلك أن مفهوم الايكولوجيا ذاته كان من وضع عالم بيولوجي هو" ارنست هايكل" ١٨٦٩م اراد به الاشارة الى (بناء وتركيب وسلوك الكائنات الحية ، من حيث تأثرها بالعيش مع كائنات اخرى من نفس النوع أو من انواع مغايرة ، ومن حيث تأثرها بخصائص الموطن الذي تعيش فيه)

ويعتبر " وارمنج" أول من قدم هذا المصطلح في كتابه (ايكولوجيا النبات)سنة ١٩٠٩م

فقد جذب وارمنج الانتباه الى حقيقة أن (لمجتمعات النبات المختلفة –مثل ما للمجتمعات الانسانية-دورات محددة للنمو والتطور)

وربما كان اهتمام الايكولوجيا بالجانب الدينامي لشبكة الحياة هو الذي جعلها تقترب وبسرعة من مجال اهتمام العلوم الاجتماعية

وذلك لانشغال الاجتماعية خاصة علم الاجتماع ، في هذا الوقت بمسائل التطور الاجتماعي ونمو النظم والتنظيمات الاجتماعية ولقد شاركت علوم اخرى ،الى جانب ايكولوجيا النبات والحيوان بإسهامات ملحوظة في تحديد النشأة الأولى للإيكولوجيا البشرية وتطويرها

تأتي في مقدمتها الجغرافيا البشرية والاثنولوجيا والاقتصاد ،وعدد من الدراسات التي اجريت في مجال ادارة الاعمال والخدمة الاجتماعية والتخطيط والاصلاح الاجتماعي

١-اسهام الجغرافيا:-

اختلف علماء الجغرافيا فيما بينهم حول تحديد مجال البحث الجغرافي ،حيث ركز البعض على الجغرافيا الطبيعية في مقابل الجغرافيا الاقتصادية التي حظيت باهتمام البعض الآخر

ومع ذلك كانت الغالبية العظمي منهم ولاتزال تنظر الى الجغرافيا على أنها دراسة (للعلاقة المتبادلة بين الانسان وبيئته)

ومن ثم بدأوا يهتمون بتوضيح كيف تؤثر العوامل الطبيعية في توزيع الناس ونشاطاتهم ومدى ما تسهم به هذه النشاطات من تعديل وتغيير لمقومات البيئة الطبيعية وتأثيراتها

لذلك لم يكن من المستغرب أن يحرص عالم مثل "باروز" عام ١٩٢٢ على تعريف الجغرافيا البشرية بأنها (ايكولوجيا بشرية تركز على دراسة الاشكال المختلفة للنشاطات الانسانية ،في علاقتها بظواهر الجغرافيا الطبيعية)

وقد تابع "هوايت "و"جورج رينر " نفس فكرة التي تؤكد أن الجغرافيا البشرية ليست سوى دراسة في الايكولوجيا البشرية

وبغض النظر عما تتضمنه هذه التصورات السابقة من صدق أو ادعاء زائف فمن الملاحظ أن اسهام الدراسات الجغرافية المبكرة في تطوير المدخل الايكولوجي كان واضحاً حتى قبل ظهور كتابات" باروز" و"هوايت "ومن جاءوا بعدهما ولقد كانت الجغرافيا الحضرية من اهم المجالات التي برز فيها مثل هذا الاسهام الجغرافي المبكر

حيث قدمت هذه الدراسات الجغرافية المبكرة بعض الافكار الهامة التي شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام علماء الايكولوجيا فيما بعد ، مثل التركز Concentration وأنماط استخدام الأرض والبناء الداخلي للمدن بل لقد طور بعضهم نظريات انطلقت من منظور جغرافي بحت وانتهت الى نتائج ايكولوجية هامة ،كانت ولا تزال مادة ثرية لكثير من الدراسات الايكولوجية ذات الطابع السوسيولوجي البحت .

ويكشف ميولرو في مقالة له بعنوان ((تراث نسيناه)) عن التوازن التام بين البحث الجغرافي والبحث الايكولوجي والذي كان موجوداً حتى قبل الاعتراف الرسمي ((بالايكولوجيا البشرية))

في هذه المقالة ، اوضح ميوللر كيف احس علماء الجغرافيا الحضرية الاوائل بضرورة وجود اطار تصوري عام لدراسة النشاطات البشرية وتجسيداتها ومظاهرها المادية وتوزيعاتها الزمانية والمكانية

، كما ذهب الى ان العمل الذي قام به فردريك راتزل في كتابه ، الذي وقع في مجلدين ضخمين ، يعد من اكثر الاعمال شموليه وفهماً وحرصاً على توضيح او تحديد الاسس النظرية والمنهجية في هذا المجال

لقد كان مخطط راتزل موجهاً لتحديد العنصر الانساني في البحث الجغرافي وتقييمه في ضوء نسق للتفكير والتفسير معترف به ، هو الحتمية البيئوية

لذلك كان الموضوع الاساسي الذي شغل اهتمامه وفكره ممثلاً في بحث العلاقة العلية بين البيئة الطبيعية ، وبين النشاطات البشرية والتنقلات السكانية من منظور تطوري بحت

يؤدي في النهاية ، في نظره ، الى معرفه قوانين ((جغرافية الانسان)) والتي تعكس بدورها الانماط المختلفة لاعتماد الانسان على الظروف الطبيعية

ولقد عني راتزل ، بصفة خاصة ، بوضع خرائط للأقاليم الاهلة بالسكان ، وتحديد العوامل الجغرافية المسئولة عن توزيع وانتشار الجموع البشرية

وفي هذا الصدد طور عدداً من المفاهيم مثل الوضع والمكان والحدود والطرق .كما قدم تحليلات ممتازة للتنقلات المكانية التي تقوم بها جماعات السكان ، وعلاقات العزلة والاتصال بين الشعوب المتجاورة وتطوراتها الاقتصادية ، وغير ذلك من موضوعات تلقى الاضواء على جوانب مختلفة من حياتها الاجتماعية

والاهم من ذلك ، أن راتزل – وقد كان مؤسس الجغرافيا البشرية – قد لفت انظار الباحثين في مجال الجغرافيا الحضرية الى ضرورة تحليل مواقع المدن وتطورها التاريخي وتوزيعها المكاني في ضوء تأثرها واعتمادها على ظروف البيئة الطبيعية .

لذلك لم يكن من المستغرب ان يأتي باحث جغرافي مثل الفرد هيتنر فيعلن – بعد ان اشاد بجهود راتزل – ان على الجغرافيا الحضرية ان تتبنى مناهج البحث والتفسير السائدة في الجغرافيا الطبيعية ، وبخاصة جغرافيا النبات

وانه من خلال فهم التنوع والتمايز المكاني لظروف البيئة ، يستطيع الباحث ان يصنف المستوطنات الحضرية ، وان يقارن بينها ، ليصل في النهاية الى عدد من القوانين العامة والثابتة موقعها وحجمها وتطورها

ويضيف هيتنر الى ما سبق ، امكانية مقارنه المستوطنات الحضرية بالكائن الحي – وبخاصة النباتات في توافقه مع البيئة الطبيعية ، وتنافسه مع غيره ونضاله الدائب من اجل البقاء والوجود والسيادة والسيطرة وانه من خلال فهم التنوع والتمايز المكاني لظروف البيئة ، يستطيع الباحث ان يصنف المستوطنات الحضرية ، وان يقارن بينها ، ليصل في النهاية الى عدد من القوانين العامة والثابتة موقعها وحجمها وتطورها

ويضيف هيتنر الى ما سبق ، امكانية مقارنه المستوطنات الحضرية بالكائن الحي – وبخاصة النباتات في توافقه مع البيئة الطبيعية ، وتنافسه مع غيره ونضاله الدائب من اجل البقاء والوجود والسيادة والسيطرة.

ولعلنا نرى في اضافة هيتنر الاخيرة ما يدعم دعوى ان الطبيعة تمثل مستوى مطلقاً من النظام والفرضية ، الامر الذي يحتم تطبيق المفهوم الداروني حول البقاء والصراع والتكيف في مجال الجغرافيا الحضرية تماماً كما هو الحال في الايكولوجيا البشرية المبكرة

ومن ثم ظهرت الى جانب الفلسفة الطبيعية التي ميزت القرن التاسع عشر ، وكانت نموذجاً تحتذيه الجغرافيا الحضرية في اوائل القرن العشرين ظهرت فلسفة اخرى تميزت بالحتمية البيئية التي اخذت طابعاً جغرافياً ، وبخاصة عندما عنيت بتوضيح العلاقة بين ((ضبط او تأثير غير عضوي واستجابة عضوية))

٢-اسهام الدراسات الاثنولوجية(علم الشعوب وثقافاتها):-

تعد الدراسات الاثنولوجية المبكرة ، والتي ظهرت في السنوات الاولى من القرن العشرين ، مصدراً آخراً من المصادر الاولى والمبكرة للايكولوجيا والمدخل الايكولوجي

فقد جذب علماء الاثنولوجيا الانتباه الى حقيقة هامة مؤداها . ان الثقافات ، وبخاصة الثقافات غير المتحضرة والتي لا تعرف القراءة والكتابة ، يمكن ان تحدد وبوضوح في مناطق بعينها

كما كان لعلماء الاثنولوجيا فضل السبق في تقديم مفهوم ((المنطقة الثقافية)) الذي كان كلارك ويلز اول من استخدمه كأداة تحليلية في بحثه الشهير عن ((هنود امريكا)) سنة ١٩١٧ .

وفي هذا البحث أكد ويلز أهمية العوامل الجغرافية في تفسير التوزيع المكاني للسمات الثقافية

ومما هو جدير بالذكر ، ان بعض علماء الاجتماع الاوائل ، من امثال روبرت ردفليد ، قد تابع ويزلر في تأكيده على اهمية دراسة المناطق الثقافية ، وتوزيع الثقافة ، رغم اختلافه معه في بعض ارائه وافكاره وبإختصار ، قدم الباحثون في مجال الاثنولوجيا جهداً ملحوظاً ومؤثراً في تشكيل البدايات الاولى لتطوير المدخل الايكولوجي في علم الاجتماع .

ولعل من اهم ما اسهموا في هذا الصدد:

١/التأكد على المظهر المكاني للثقافة

٢/إعداد خرائط التوزيع المكاني للسمات الثقافية ومركباتها وأنماطها

٣/جذب الانتباه الى مشكلات تعيين حدود المناطق الثقافية كمبحث اساسي في الايكولوجيا وعلم الاجتماع .

٤/الاهتمام بتحليل خصائص المناطق الهامشية ، اي المناطق التي يغلب عليها طابع التفكك الاجتماعي ، والتي تقع ما بين المناطق الاكثر تنظيماً.

٣-اسهام كتابات الاقتصاديين:-

ساعدت كتابات آدم سميث وغيره من علماء الاقتصاد الكلاسيكيين ، صياغة مفاهيم ايكولوجيه اساسية كالتنافس والتعاون التنافسي ،والتي كانت بمثابة محور ارتكاز في وصف التنظيم الايكولوجي وتفسير التغيرات الايكولوجيه أضف الى ذلك ان الدراسات العديدة التي اجريت حول قيمة الارض بكل ما تحتله من اهمية ومكانة في التحليل الايكولوجي ، قد تطورت في الاصل على ايدي علماء الاقتصاد ، ممن اشتملت كتابتهم على مادة اكثر ثراء ، كانت خير معين لعلماء الايكولوجيا الحضرية فيما بعد

٤-اسهام رجال الاعمال :-

والى جانب هذه الدراسات الاقتصادية ، التي تميزت بالطابع العلمي والاكاديمي قدم رجال الاعمال في اهتمامهم بتوطن مشروعاتهم مادة غنية وأكثر واقعية عن المجتمعات المحلية الحضرية ، أفادت – ولو بطريقة عارضة غير مقصودة – في تطوير المنهج الايكولوجي

ولو ان كثيراً منهم ، لم يكن على وعي بما تضمنته هذه المادة من نتائج ذات اهمية ايكولوجية نظرية ومن ابرز الامثلة التي نسوقها في هذا الصدد الدراسة الايكولوجية التي قام بها هورد رجل الاعمال الامريكي سنه ١٩٠٣ عن المبادئ المحددة لقيم الارض في المدينة .

لقد عمل هورد خبيراً بإحدى مؤسسات توثيق عقود الرهن والايجارات العقارية بمدينة نيويورك ، كان اكثر احساساً بخطورة مشكلة عدم توافر البيانات والمعلومات اللازمة لانجاح مهامه ومن ثم قام بنفسه بجمع قدر كبير منها ،وبخاصة تلك التي تدور حول توزيع قيم الارض في المدينة والتغيرات التي تطرأ عليها .وقد تمكن ، من خلال هذا الجهد ، من وضع عدد لا بأس به من الخرائط لبعض المدن والمراكز الحضرية الكبرى كما سجل التاريخ المحلي لكل منها ، موضحاً نشأتها الاولى واتجاهات نموها وعوامله ،ومحللاً انماط توزيع قيم الارض فيها وقد اعتمد في ذلك كله على ما جمعه من بيانات حول القيمة الايجارية لمساكنها والمرهونات العقارية فيها .

ولعل من اهم ما يعنينا من تلك الدراسات والبحوث التي اجراها هورد ، انها اسلمت الى مجموعة من النتائج ذات الاهمية الايكولوجية النظرية والعلمية الى جانب اهميتها التطبيقية التي كانت اهم ما عني به

فلقد كشفت دراساته:-

عن ان المدينة تنشأ في الاصل عند اقرب نقطة ممكنة للاتصال بالعالم الخارجي ،وانها تنمو بعد ذلك على طول اقل الخطوط مقاومة واكثرها جاذبية ، وان خصائص تركيبها الطبوغرافي ، وتكوينها الجيولوجي ، ومدى صلاحية وكفاءة الموارد المتاحة بالمنطقة تعد كلها عوامل هامة في تحديد نقطة الاصل والمنشأ واتجاهات النمو المستقبلية كما كشفت عن عمليات مستمرة لإعادة التوافق بين هذه العناصر المختلفة ، اذ غالباً ما تتعدل تأثيرات الخصائص الطوبوغرافية من خلال ما يقوم به السكان من ((قطع)) او ((سد الثغرات)) او ((اقامة جسور والكباري))

ومع ذلك تظل هذه الخصائص ذات تأثير فعال في اتجاهات نمو المدينة ،وقد أوضحت هذه الدراسات ايضاً أن الاستخدامات المختلفة للأرض داخل المدينة تتنافس مع بعضها البعض على الموقع الأفضل ،معتمدة في ذلك على قانون العرض والطلب حيث تبعد المناطق السكنية بعيداً عن مركز المدينة ،ليحل محلها دوائر الاعمال والبنوك والمؤسسات وحيث تتمايز المناطق السكنية وفقاً للمستوى الاقتصادي للسكان

فالأثرياء يحرصون على اختيار افضل المواقع ،وتبذل الطبقات الوسطى الطبقات الوسطى كل جهودها للإقامة بالقرب من المناطق السكنية للطبقات العليا ،تاركة الطبقة الدنيا وفقراء المدينة للعيش اينما استطاعوا وحيث تميل المؤسسات والمحلات التجارية على اختلاف نوعياتها ومستوياتها الى ان تتبع المناطق السكنية ، وبالتالي تتبع تجارة الجملة تجارة التجزئة ((حيث يلاحظ ان تجارة الجملة التي تتعامل مع سلع ذات قيمة اكثر ارتفاعاً وبكميات اقل))

كما تميل الصناعات التي تعتمد على القوى العاملة والاسواق ووسائل النقل الى التوطن في مناطق اطراف المدن اما قيمة الارض في المدينة ، وسط هذه المنافسة ، فتعتمد على افضلية الموقع وتفوقه ، حيث تنخفض بانخفاض المكانة الاقتصادية للسكان الذين يشغلونها والعكس صحيح ومع ذلك لا تبقى قيمة الارض في اي منطقة بالمدينة ثابته ، بل تتغير باستمرار مع سيطرة او غزو الاستخدامات المختلفة لها كما تعتمد في جانب منها على النمط الراهن لاستخدامها وعلى نوعية واتجاهات التغير المختلفة .

لذلك فان هناك -على حد تعبير هورد – دورة تسير وفقاً لها قيمة الارض الحضرية ، من بداية صغيرة الى نمو تدريجي ، ثم زيادة الى اقصى حد ممكن ، تليها تدهور فانقراض تام لتبدأ به دورة اخرى جديدة والحقيقة ان دراسات هورد السابقة ليست الا مثالاً لعدد من الدراسات التي وجهت في الاصل لتحقيق أغراضاً عملية تطبيقية ، وخلصت في النهاية وبطريقة غير مقصودة او متوقعة الى عدد من النتائج الايكولوجية ذات الدلالة النظرية الهامة

فلقد طورت الشركات والمؤسسات الصناعية الكبرى والمؤسسات المعنية بالخدمات والمرافق الحضرية ، عدداً من البحوث والدراسات الميدانية عن سكان المدن والمناطق الحضرية ولعل من ابرز الامثلة في هذا المجال ، ما قامت به شركة بل تليفون من دراسات مكثفة حول التوزيع والنمو السكاني في المدن ، والتنقلات السكانية في عدد من الاقاليم المتروبوليت(منطقة حضرية كبرى) الكبرى وبعض المجتمعات المحلية الحضرية الصغيرة في شيكاغو ونيويورك حاولت من خلالها ان تحدد مقدماً النمو المحتمل للسكان وانماط التوزيع السكاني المتوقعة في هذه المناطق وعلى اية حال فقد اسهم رجال الاعمال والمؤسسات الكبرى في تراكم مادة تعتمد على الوقائع عن حياة المدن ، وفي اثراء وتعميق وجهات النظر حول عدد من المسائل الهامة التي تدخل في صميم البحث الايكولوجي ومما لا شك فيه ان الكثير من رجال الاعمال ، ممن قاموا بجهد ملموس في هذا الصدد ، لم يكن على وعي بالنتائج النظرية التي يمكن ان تقود اليها بحوثهم ودراساتهم الامبيريقية ولو ان اعمالهم كانت موجهة بتصوير اساسي للمجتمع الانساني مؤداه :ان هذا المجتمع وحدة موزعة توزيعاً مكانياً ، تنظيم كوحدة معيشية ذات تنظيم وظيفي محدد .وتعمل وفقاً لقوانين منتظمة للتفاعل . يمكن على اساسها وضع او تصور بعض التنبؤات المستقبلية الهامة

٥-اسهامات الخدمة الاجتماعية :-

مثلت المسوح الاجتماعية التي قام بها رواد حركة الاصلاح الاجتماعي ، والخدمة الاجتماعية ، لعدد من المناطق الحضرية الريفية ، جهوداً واسهامات ملحوظة في البدايات الاولى لتطوير المدخل الايكولوجي فلقد وجهت معظم هذه الجهود لدراسة مظاهر معينة من الحياة الاجتماعية في عدد من المجتمعات المحلية الريفية والحضرية ،كمشكلات الاسكان والوفيات والفقر وانخفاض مستوى المعيشة ومع أن هذه المسوح صممت اساساً بهدف طرح الحلول العملية لهذه المشكلات الا انها كانت تقدم صوراً متعددة الابعاد للحياة الاجتماعية في المناطق التي عنيت بدراستها وتعتبر المسوح التي قام بها تشارلز بوث عن احوال الطبقة العاملة في لندن

والدراسات التي كانت تمولها وتشرف عليها مؤسسة رسل ساج والمسوح الاجتماعية التي اجريت في الولايات المتحدة الامريكية والتي قدمت وصفاً كاملاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية للمدينة الامريكية مثالاً بارزاً على هذه المحاولات الرائدة .

وبوجه عام يمكن القول ان هذه الجهود الرائدة التي بذلت في مجال الاصلاح الاجتماعي والخدمة الاجتماعية ، قد ساعدت من خلال ما تمخض عنها من دراسات ومسوح اجتماعية على شيوع مدخل دراسة المجتمعات المحلية الصغرى وتطوير عدد من الاجراءات الجديدة لجمع وتفسير البيانات الموزعة توزيعاً مكانياً وتمثيلها في اشكال وصور وخرائط بيانية الى جانب انها ساعدت على نشر فكرة هامة مؤداها ان المجتمع المحلي وحدة متميزة لها تاريخها ونمط تطورها الخاص غير ان السمة الغالبة على هذه الدراسات انها لم تكن شأنها في ذلك شأن جهود رجال الاعمال من قبل مستندة على توجيه نظري ، كما لم توجه من خلال اطر ايكولوجية نظرية فقد بقيت حركة المسح الاجتماعي متميزة نسبياً عن الدراسات الايكولوجية ، رغم ما كان بين المجالين من اهتمام وفائدة مشتركة .

اخيراً ، تعتبر الدراسات العديدة التي اجريت في مجال التخطيط الحكومي – على المستوى المحلي والاقليمي والقومي والتي عولجت فيها موضوعات النمو والتنقل السكاني ومشكلات الاسكان والنقل والتجارة والصناعة وغير ذلك من الموضوعات التي ارتبطت بالمجتمع الحضري بصفة خاصة والتي عنيت اساساً بتخطيط ومواجهة الحاجات المستقبلية للمجتمع المحلي او الاقليم او الامة ككل تعتبر كلها مصادر أو أصول مبكرة لتطور الدراسة الايكولوجية ،خاصةً وأنها جميعاً قد كشفت عن ضرورة وأهمية الدراسة الجادة للتنظيم الفيزيقي للمجتمع المحلي ليس بإعتباره وحدة أو ظاهرة مستقلة ،بل في ضوء دوره ووظيفته داخل منطقة أكبر

إنتهى